قوامة الرجل على المرأة

من يقود السفينة ؟ .

الحياة الزوجية كالسفينة فى البحر ، تعتريها أمواج هادرة ، وتحتاج إلى ربان قوى ، وقد جعل الله للرجل القوامة على المرأة ، فهو رب الأسرة ، قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١) .

ولماذا جعل الله القوامة للرجل على المرأة ؟ .

١ - أن الرجل بطبيعته الجسمية والنفسية له القدرة على تحمل المشاق وخوض الصعاب ، الصبر على الشدائد ، والخروج لطلب الرزق ، ومصارعة الحياة .

٢ - أن الله سبحانه وتعالى خلق المرأة تحب من الرجل القوامة عليها ، والجلد ورباط الجأش ، وتعتز بكونها تحت لوائه ، وتشعر حينها بالأمن .

٣ - أن المرأة بطبيعة تكوينها البدنى والنفسى لا تقدر على تحمل المشاق وعلى قيادة الأسرة ، ويعتريها الإعياء والتعب فى كثير من الأحيان .

فهى فى كل شهر لها أيام معدودة لا تصلى فيهن ولا تصوم ، ويصاحبها فى هذه الفترة التعب والتغير فى المزاج « استنتج الطبيب فولستشفكى من مشاهدته الدقيقة أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلى والتركيز الفكرى أثناء الحيض » (٢) .

---

(١) سورة النساء الآية « ٣٤ » .

(٢) عن كتاب الحجاب ، أبو الأعلى المودودى .

ويقول الطبيب جيب هارد « قل من النساء من لا تعتل بعلة فى المحاض ، ووجد أكثرهن يشتكين الصداع والنصب والوجع تحت السرة وقلة الشهوة للطعام ويصبحن شرسات الطباع مائلات إلى البكاء » (١) .

والمرأة إما مصابة بتلك الأوجاع شهرياً ، وإما حامل ، ولا يخفى ما يعتريها من تعب وضعف عام أثناء فترة الحمل ، ثم بعد ذلك لديها الأولاد والعناية بهم ، كل هذا يجعل للمرأة مهمة خاصة فى الأسرة لا تقل عن مهمة الرجل فى الحياة من حيث أهميتها .

ولكن ماذا تعني قوامة الرجل على المرأة ؟ .

القوامة لا تعنى أكثر من قائد موجه يجتاز الصعاب ويصبر عند الشدة ، ويكون له الفصل فى الأمور ، ويخطئ من يظن أنها تعنى تسلط الرجل على المرأة أو الإذلال والقهر لها ، فهذا غير صحيح ، جاء فى الحديث الصحيح : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى** » (٢) .

وهل تعني القوامة أن المرأة أقل من الرجل في المسئولية ؟ .

المرأة مشاركة لزوجها فى أمور الحياة كلها ومسئوليتها ليست أقل من مسئوليته ، ونجاح الزوج مرهون بدرجة كبيرة بأخلاق زوجته وصفاتها وذكائها ، وقد شهد التاريخ نساءً كن أعظم من كثير من الرجال ، وقد قيل « وراء كل عظيم امرأة » ، فهى مدرسة ، وهى نصف المجتمع ، وعليها مسئولية تربية الأبناء تربية سليمة متينة على الأخلاق الفاضلة وهى بذلك تحمى المجتمع من الفساد ومن الرذيلة والفوضى .

---

(١) عن كتاب الحجاب ، أبو الأعلى المودودى .
(٢) رواه ابن حبان .

وما موجبات قوامة الرجل على المرأة ؟ .

أولاً : الطاعة فى المعروف : فقد جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه على الرجال ، فإن يصيبوا أجروا ، وإن قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أبلغنى من لقيتى من النساء : أن طاعة المرأة الزوج واعترافاً بحقه ، يعدل ذلك وقليل منكن يفعله** » (١) .

والحياة أيتها الزوجة المؤمنة لا تستقيم فى محيط الأسرة إذا لم يوضع كلام الزوج موضع التقدير والاحترام ، فإن ما يشعل صدره ويأجج فيه نار الغضب أن تخالفى أمره وتضربى بكلامه عرض الحائط ، وأنت عندئذ لا تغضبيه فحسب بل تغضبى الخالق سبحانه وتعالى ، واسمعى حديث رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله تبارك وتعالى لامرأة لا تشكر لزوجها ، وهى لا تستغنى عنه** » (٢) .

وانظرى إلى عظم فضل الزوج ، قال رسول الله ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها** » (٣) .

وقال ﷺ : « **حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه** » (٤)

فطوبى لزوجة أطاعت زوجها ووضعته موضع التقدير ، وليتبشر بقول رسول

---

(١) رواه البزار .
(٢) رواه النسائى والبزار .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) صحيح الجامع الصغير ، الألبانى .

الله ﷺ : « المرأة إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت »[١] .

وقال أيضاً ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة »[٢] .

انتبهي أيتها الزوجة ... هذه سرايا إبليس .

يقول رسول الله ﷺ : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه فأدناهم منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : ما تركت فلان حتى فعل كذا ... فيقول : ما فعلت شيئاً ، ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركت فلاناً فرقت بينه وبين امرأته ، فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ، نعم أنت »[٣] .

فاحذرى أيتها الزوجة أن يوسوس لك جندى من سرايا إبليس ، فيوقع بينك وبين زوجك ، وإذا حتدم الخلاف بينكما فتذكرى هذا الحديث ، وكونى أنت البادئة بالإصلاح ولكى الخير والثواب ، والحب فى قلب زوجك ، قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بنساءكم فى الجنة ؟! » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال: « ودود ولود ، إذا غضبت أو أسيء إليها ، أو غضب زوجها ، قالت : هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض[٤] حتى ترضى »[٥] .

وربما يأتى جندى من سرايا إبليس فيقول للزوجة لابساً ثوب النصح

---

(١) رواه أحمد وغيره .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه مسلم .
(٤) لا أكتحل بغمض : أى لا ترى عينى النوم .
(٥) رواه الطبرانى .

والإرشاد : كيف تذهبى وتعتذرى لزوجك ؟ لقد أخطأ فى حقك ، فكيف تمدى له يد الصلح ؟ أين كبريائك ؟ هذه إهانك لك ... إن الشيطان يريد أن يفوز بتاج الوقار والدنو من إبليس على حسابك أيتها الزوجة وعلى خراب بيوت المؤمنين ، فلا تسمعى له فهو عدوك ، وما قاله وهم وخداع .

ثم ألا تحبين أيتها الزوجة أن تكونى من نساء الجنة ؟ ألا يستحق ذلك منك أن تذهبى لزوجك وترضيه وتقول له : لا أكتحل بغمض حتى ترضى ، والله لو فعلتِ هذا لكبرت فى نظره وفى قلبه ولحرص على إسعادك دائماً ، والنبى ﷺ لا ينطق عن الهوى ويعلم أن ذلك فيه نجاح للزواج وسعادة للزوجين واستقرار لحياتهما ، وأهم من ذلك كله رضاء الحق سبحانه وتعالى عنك ودخولك الجنة ، وهذا هو المرتجى وغاية المنال والمنى .

وما حدود طاعة الزوج ؟ .

طاعة الزوج واجبة من قبل زوجته فيما أمر به من معروف ، فإن أمر بمعصية فلا طاعة له ، لقول رسول الله ﷺ : « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » [1] .

فالزوجة تطيع زوجها إرضاءً لله سبحانه وتعالى ، فكيف تطيعه فى معصية الله ؟! فليس للزوج أن يأمر زوجته مثلاً بخلع الحجاب « ومسايرة الموضة » وإن أمرها بذلك فلا سمع له ولا طاعة ، وليس له أن يأمرها بالسهرات الخليعة والاختلاط بالرجال ، وليس له أن يأتيها فى غير مكان الولد ، أو أن يأتيها وهى حائض أو نفساء .

---

(١) رواه أحمد والحاكم .

قال رسول الله ﷺ : « **من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ، أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** » (١) .

وقال رسول الله ﷺ: « **لا ينظر الله إلى رجل يأتى امرأته فى دبرها** » (٢) .

وللزوج أن يستمتع بزوجته وهى حائض فيما عدا ما بين السرة والركبة ، لما وَرَدَ فى الصحيح من أنه ﷺ كان لا يباشر احدى نسائه وهى حائض حتى يأمرها أن تأتزر (٣) .

وليس للزوج أن يأمر زوجته بوصل شعرها ، فقد جاءت امرأة من الأنصار سقط شعر ابنتها بعد زواجها ، وقالت : يا رسول الله إن زوجها يأمرنى أن أصل شعرها فقال ﷺ : « **إنه قد لعن الموصلات** » (٤) .

وكثير من النساء اليوم يفعلنه ، متجاهلين بذلك نهى النبى ﷺ عنه ولعن من يفعله من النساء ، ويجوز وصل الشعر بشىء من غير الشعر بشرط ألاّ يكون فيه من الخداع ما يغرى بأنه شعر طبيعى ، مثل وصل الشعر بخيوط من الحرير أو خيوط من الصوف أو غيرها ، فإنه لا بأس به إذا سلم من مطابقة الشعر الطبيعى .

ثانيا : عدم الامتناع عند حاجة الزوج إليها :

فمن موجبات قوامة الرجل التى شرعها الإسلام عدم امتناع زوجته عنه عند رغبته فيها ، لأن فى ذلك إهانة لمشاعره وإنقاص من قدره .

---

(١) رواه أصحاب السُّنن إلا النسائى .
(٢) رواه النسائى .
(٣) الإزار : يوضع ليغطى ما بين السرة والركبة .
(٤) رواه البخارى .

ولقد كان تحذير النبى ﷺ من هذا الأمر عظيماً ، فقال ﷺ :« **والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح** »[١] .

وربما تقول الزوجة فى نفسها أنها حين دعاها زوجها كانت مشغولة بأمور المنزل وعمل البيت مهم ، وهذا كله ليس له قيمة ، وعلمها أن تجيب زوجها على أى حال ، قال رسول الله ﷺ :« **إذا دعا الرجل زوجته لحاجته ، فلتأته وإن كانت على التنور**[٢] »[٣] .

وقال أيضاً ﷺ :« **إذا دعا الرجل امرأة إلى فراشه فلتجب ، وإن كانت على ظهر قتب**[٤] »[٥] .

وكثير من المشاكل بين الزوجين سببها انشغال الزوجة عن زوجها فى هذا الأمر ، فيجب أن تكون الزوجة مع زوجها فى انفعالاته وشعوره ، تشعر وتحس بما يريد وتتجارب معه ، فإن برود الزوجة وعدم تجاوبها مع الزوج فتنة له ، وعلى الزوجة إن كانت تعانى من البرود الجنسى أن تعالج عند الطبيب أو الطبيبة المختصة ، حتى تؤدى حق زوجها ولا تقصّر فيه ، ولتعلم أن المغريات فى الحياة العصرية للرجال كثيرة ، فإن الفتن تُعرض عليهم فى كل مكان ، والشيطان لم يترك باباً من أبواب الفاحشة إلا وفتحه ليلج فيه كل من ذهب إيمانه وضاع ضميره وفقد حياءه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) التنور يعنى الفرن .
(٣) رواه أحمد والترمذى .
(٤) قتب : يعنى بعير .
(٥) رواه البزار وقال الألبانى صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير .

ثالثا : خفض الصوت عند التحدث معه :

ونقصد به ألاّ يعلو صوت الزوجة فوق صوت زوجها ، فهذا لا يصح فى عرف الحياة الزوجية السعيدة ، ونعرف أن الله سبحانه وتعالى جعل علوّ الصوت فى حضرة النبى ﷺ محبط للعمل ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** (٢) ﴾ (١) .

وليس أقل من أن تكون المرأة آثمة حين ترفع صوتها فوق صوت زوجها ، وهذه ابنة سعيد بن المسيب – العالم العابد الزاهد – تقول : « ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم » .

ورفع الصوت لا شك فيه إيذاء للسامع وعدم تأدب معه فى الحديث ، والمرأة مطلوب منها أن تتأدب حين تتعامل مع زوجها لفضله ، وهذا لا يعنى أن يتجبّر الزوج على زوجته كلا ، ولكن لين الجانب من قبل الزوجة وخفض الصوت له أبلغ الأثر فى تهدئه الأجواء وتهدئة النفوس .

رابعا : لا يؤذن لأحد فى بيته إلا بإذنه :

لقد حفظ الإسلام للرجل حقه فى بيته ، فهو سيده ، وحرم على زوجته أن تأذن لأحد فيه إلا بإذنه ، قال رسول الله ﷺ : « **أما حقكم على نساءكم ، فلا يوطئن فراشكم من تكرهون ، ولا يؤذن فى بيوتكم لمن تُكرهون** » (٢) .

---

(١) سورة الحجرات الآية « ٢ » .

(٢) رواه الترمذى .

وليس هذا فحسب ، بل وصل احترام قوامة الرجل فى بيته إلى حد ألا يتدخل أحد فى سلوك الزوج داخل بيته ما دام لم يحدث ما يخل بالعلاقة الزوجية ، وما دام الزوجان لم يلجأ إلى التحكيم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **لا يسئل الرجل فيما ضرب زوجته** »[1] .

ويعلم أولو البصائر والنهى أن هذا ليس معناه إقرار لأن يضرب الرجل زوجته ، وسيأتى إن شاء الله بيان ذلك لاحقاً ، ولكن المعنى المقصود هنا هو تقرير قوامة الرجل فى بيته وأن لا يكون هذا البيت مسرحاً لغير أهله يتدخل فيه من لا شأن له به .

فالله وحده هو الرقيب على هذا البيت وعلى سلوك الزوجة والزوج ، لذلك جعل الإمام النووى رحمه الله ، الحديث السالف الذكر فى باب مراقبة الله عز وجل .

خامسا : أن تحفظ ماله وعياله ولا تخرج من غير إذنه :

ولا ينبغى للمرأة أن تأخذ شيئاً من مال زوجها بغير إذنه إلا أن يكون بخيلاً فتأخذ ما يكفيها وعيالها ولا تشطط ، وذلك لما جاء فى الصحيح من إذن النبى عليه السلام لزوجة أبى سفيان بأن تأخذ من ماله ما يكفيها وأولادها ، كذلك لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه ، وذلك أيضاً من موجبات قوامة الرجل فى بيته ، وعندما يقرر الإسلام تلك الأمور إنما يهدف من ورائها لحفظ كيان الأسرة ومكان الرجل وأخلاق المرأة وتربية الأولاد من الإنهيار .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .

« ومهما كان من وجود احترام المرأة لزوجها فإن لذلك حدوداً ، وقد سئل الإمام مالك كما فى الفتح « ١١ / ٤١ » عن المرأة تبالغ فى إكرام زوجها فتتلقاه وتنزع ثيابه وتقف حتى يجلس ؟ فقال : أما التلقى فلا بأس أمام القيام حتى يجلس فلا ! فإن هذا من فعل الجبابرة ، وقد أنكره عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه »[1] .

---

[1] عن كتاب تحفة العروس ، محمود مهدى الأستانبولى .

طبيعة المرأة ومميزاتها

هل المرأة مخلوق ينقص عن الرجل ؟ .

لم يعرف الإنسان ديناً من الأديان ولا شريعة من الشرائع كرمت المرأة وحفظت حقوقها مثل دين الإسلام ، وتأملي معي أيتها الأخت المسلمة قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥) ﴾ (١) .

فى تنسيق بديع يصف القرآن الكريم صفات الرجل مع المرأة جنباً إلى جنب تلك الصفات التى يستحق صاحبها المغفرة وعظيم الأجر والثواب ، إنها تسوية كاملة أمام الله فى العبادة والأجر والثواب .

يقول سبحانه : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢) .

فهى تسوية كاملة فى الحقوق المدنية للطرفين ، ودرجة الرجل على المرأة لأنها تتمتع مثله بالعشرة الزوجية ، ودرجته عليها عفوه عنها إذا لم تقم بواجبها كاملاً تجاهه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الدرجة التى ذكرها تعالى فى

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٣٥ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٢٨ » .

هذا الموضع : الصفح من الرجل لامرأته عند بعض الواجب عليها ، وإغفاله لها عنه وأداء كل الواجب لها عليه .

ولم يعرف الفقه الإسلامى تلك النظرة الضيقة التى ابتلى بها بعض المسلمين دهراً ، من قولهم بعدم خروج المرأة من بيتها للعمل أو العبادة وأن خيراً لها أن تمكث فى بيتها ولا تخرج منه أبداً ، وقد جاء فى الحديث الصحيح : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وإذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها** » (١) .

وقد أخرج أبو داود أنه ربما كان للنساء صفان فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، ومن المعلوم أنهن كان لهن يوماً يحضرن فيه دروس العلم مع النبى ﷺ يعلمهن فيه من فقة المرأة المسلمة .

بل أكثر من ذلك فكانت بعض النسوة يشهدن المغازى مع رسول الله ﷺ ، وقد جاء فى السُّنة قول النبى ﷺ : « **ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أُحد إلا رأيت أم سُليط تقاتل دونى** » (٢) .

وهذه أم حرام بنت ملحان تقول للنبى ﷺ : ادع الله أن يجعلنى ممن يركبون البحر الأخضر فى سبيل الله ، فقال ﷺ : « **اللهم اجعلها منهم** » (٣) .

وتكون منهم ويكتب لها الشهادة فى سبيل الله فى قبرص ، فقد كانت هناك مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وما زال قبرها هناك يزوره المسلمون

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .

من مر منهم به ، ويسمى قبر المرأة الصالحة .

ويرى النبى ﷺ يوم حنين أم سليم بنت ملحان أختها ومعها خنجر فيسألها ﷺ :« **وما هذا الخنجر ؟** » قالت : اتخذته ، إن دنا منى أحد المشركين بقرت به بطنه [١] .

يقول البعض أن الإسلام جعل المرأة نصف الرجل ، هل هذا الأمر صحيح ؟ .

هذا الكلام على اطلاقه تغرير وتزييف فقد بيّنا كيف سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية فى احترام كيان الإنسان وفى الأجر والثواب ، ويشيع بعض الغربيين أو المستغربين تلك المقولة ليشيعوا بين المسلمين أن الإسلام قلل من شأن المرأة .

إذن فما معنى أن المرأة شهادتها تعادل نصف شهادة الرجل ؟ وأنها ترث نصف ميراثه ؟ .

أما الشهادة فتحتاج إلى حضور ذهن وذاكرة قوية والمرأة يعتريها كثير من الأمور - كما ذكرنا منذ قليل - تساعد فى نسانيها ، قال تعالى : ﴿ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [٢] . وتذكير المرأة للأخرى يقوى الشهادة : فلا تُظلم نفسٌ شيئاً .

وأما الميراث فإن المرأة فى الإسلام لا تعول أحداً ، ولا يطلب منها

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٨٢ » .

النفقة على غيرها ، فينفق عليها أبوها ، فإن لم يكن فأخوها ، وهكذا ، فنصيبها من الميراث يكون لها خالصاً ، ولنأخذ مثالاً بسيطاً على ذلك ، فلو أن رجلاً مات عن ابن وبنت وترك ميراثاً يبلغ تسعين ألفاً ، فيكون نصيب الإبن ٦٠ ألفاً ، ونصيب البنت ٣٠ ألفاً ، ما أخذه الابن وهو مبلغ ٦٠ ألف سوف يقوم بالإنفاق على نفسه وعلى أخته من هذا المبلغ ، بينما المبلغ الذى ورثته أخته فيكون معها محفوظاً لا تمسه يد أحد غيرها ، فإذا تزوجت البنت أعطاها زوجها المهر ، وأكمل أخوها تجهيزها ، ثم يأتى هذا الأخ كى يتزوج فيدفع مهراً لزوجته ، ويجهز مسكن الزوجية ، بعد هذا كله ربما لا يبقى مع الأخ شيء من ميراث والده أو يبقى معه مبلغاً يسيراً ، والمبلغ الذى ورثته أخته كما هو ، فهل بعد ذلك يقول قائل : أن المرأة نصف الرجل ؟! ساء ما يحكمون ... .

إذا كان الإسلام قد كرم المرأة ذلك التكريم فلماذا ذكر أنها ناقصة عقل ودين ؟ .

الحقيقة أن الإسلام عندما قرر على لسان نبيه ﷺ أن النساء ناقصات عقل ودين ، لم يقرر ذلك إهانة للمرأة كلا ، وإنما ليعلم الرجل طبيعة المرأة فيتعامل معها من هذا المنطلق ، وربما تفهم النساء معنى ناقصات عقل ودين فهماً خاطئاً ، فتظن أن المرأة أقل ذكاءً من الرجل ، وهذا غير صحيح على إطلاقه ، ولنفهم جيداً قول النبى ﷺ :« **يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن** » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ **فقال** :« **أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل** ؟ » قلن : بلى ، **قال** : « **فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل**

ولم تصم ؟ » قلن : بلى ، **قال** : « **فذلك من نقصان دينها** »[١] .

فنقصان العقل إذن كما فسره الحبيب عليه الصلاة والسلام هو سهوها ونسيانها أكثر من الرجل ورأينا كيف أقر العلماء أن المرأة يعتريها قلة التركيز والنسيان أثناء فترة الحيض وما بعدها ، والمرأة أحياناً تُحيّر زوجها عندما تقسم على أمر ما أنه لم يحدث - وهى صادقة - ثم بعد ذلك تعرف أنها كانت مخطئة حينما يذكرها رويداً رويداً .

فنقصان العقل مقصود به عدم التثبت من الأشياء ونسيانها وليس قلة التفكير أو نقص الذكاء ، فقد رأينا من النساء الطبيبة الحاذقة والعالمة الذكية الفاهمة .

كيف يتعامل الرجل مع زوجته من هذا المنطلق ؟ .

يقول النبى الكريم ﷺ : « **استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلقت من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإذا ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** »[٢] .

المرأة كثيراً ما تغلب عاطفتها عقلها ، وقد خلقها الله عز وجل هكذا لما أوكل لها من مهام الحياة ، فهى الأم التى تسهر على راحة أبناءها وتتحمل التعب الشديد فى ذلك ، بما لا يستطيع أن يقوم به الرجل ، فإذا صرخ الوليد ليلاً فأنت لا تستطيع أن تتحمل صراخه ، وربما تركته وذهبت إلى حجرة أخرى تنام فيها نوماً هادئاً وهى تقوم بكل حب وحنان وتأخذه فى أحضانها وترضعه حتى يخلد للنوم ، والرجل كثيراً ما يجد فى امرأته غلبة العاطفة ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

فيظن أنها تعانده ، فربما يثور عليها ، فعليه أن يتحلى بالصبر ، ويعلم طبيعتها ويقدرها ، وربما تنشغل عنه بالأولاد فيعلم أن عاطفة الأمومة عندها جارفة فيعذرها ويذكّرها برفق ، وربما يجدها تهتم بأمور بالنسبة له بسيطة وتافهة وبالنسبة لها كبيرة وعظيمة ، فليعلم ما فطرها الله عليه من حب للجمال والذوق واهتمامها بالأمور البسيطة التى قد لا يهتم بها الرجال ، فهى تحب أن يكون بيتها منظماً بطريقة معينة ، وهذا اللون عندها أفضل من ذلك اللون ، ووضع هذا الشيء بطريقة معينة أفضل من وضعه بطريقة أخرى ... وهكذا .

لا تحاول أيها الزوج أن تجعلها مثلك فى طريقة التفكير والإهتمام وتغليب العقل على العاطفة ، فإن حاولت ذلك فسوف تكسرها ولن تعيش معك ، ثم عليك أن تعلم أن ما يميزها من غلبة العاطفة وحبها للذوق والجمال وأحياناً مبالغتها فى ذلك كل هذا هو أجمل ما يميزها كأنثى ، وهى بذلك تجعل لحياتك معنى وروح ، فهى عندما تحب تتفانى فى الحب ، فعليك أن تغتنم هذا فى إعمار بيتك وملئه بالحب والحنان ، وتوجيه تلك العاطفة نحو تربية الأولاد تربية صالحة ونحو فعل الخير ، وعندما يعلم الرجل ضعف زوجته فى أطوار كثيرة من حياتها يلتمس لها العذر إن قصرت فى خدمته ، ويساعدها خاصة فى مرضها وتعبها .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : « **كان رسول الله ﷺ فى مهنته** [١] **أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة** » [٢] .

وعنها أيضاً « **كان ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله** » [٣] .

---

(١) مهنة أهله : خدمتهم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الترمذى .

خدمة المرأة زوجها

هل خدمة المرأة زوجها واجبة ؟ .

الناظر إلى سيرة النبى ﷺ عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم وإلى حياتهم ، يرى بما لا يدع مجالاً للشك وجوب خدمة المرأة زوجها بالمعروف ، جاءت فاطمة رضى الله عنها تشتكى إليه ما فى يدها من الرحى حين بلغها أنه قد جاء رقيق إليه ﷺ ، فلم تجده ، فأخبرت عائشة رضى الله عنها بذلك ، فلما جاء ﷺ أخبرته عائشة بشكوى ابنته فاطمة رضى الله عنها ، يقول علىّ رضي الله عنه : « فجاءنا وقد أخذنا مضجعنا فذهبنا نقوم فقال : على مكانكما ، فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطنى ، **فقال : « ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟! إذا أخذتما مضاجعكما ، أو آويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا ثلاثاً وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم »** (١) .

ولو لم تكن خدمة المرأة زوجها واجبة لأعطى النبى ﷺ خادماً لابنته ، أو أسقط من عليها خدمة زوجها أو أمر علياً أن يساعدها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل أمرها ﷺ بالإستعانة بذكر الله عز وجل وفى رواية أخرى أنه قال ﷺ : « **اتقى الله يا فاطمة ، وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك ، وإذا أخذت مضجعك فسبحى الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمدى ثلاثاً وثلاثين ، وكبرى أربعاً وثلاثين ، فتلك مائة ، فهو خير لك من خادم** » ، قالت فاطمة :

---

(١) رواه البخارى .

رضيت عن الله وعن رسول الله] [١] .

وهذه أسماء ابنة الصديق أبي بكر رضي الله عنهما تقول :

« تزوجنى الزبير ، وماله فى الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه «تعنى بعيره » الذى يستقى عليه فكنت أعلف فرسه وزاد مسلم وأسوسه وأدق لناضحه وأخرز غربه « تعنى خيط الدلو بالخرز » وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ ، حتى أرسل أبو بكر بخادم يكفينى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى » [٢] .

انظرى أيتها الأخت المسلمة : بعث أبوها بخادم لا ليكفيها خدمة الزوج فى المنزل وإنما ليقوم بسياسة الفرس ، فهى أمر شاق على النساء وقد كانت تقوم به ابنة الصديق رضى الله عنهما لأنها ذات فضل وإيثار لمصلحة زوجها ، ولا يطلب الإسلام من المرأة أن تقوم بعمل المستحيل وإنما بخدمة زوجها بالمعروف قدر استطاعتها ، وأن تستعين بالله وبالذكر .

وقال البعض أنه لا تجب على المرأة خدمة زوجها وهذا القول ضعيف لما سبق ذكره ، فأغلب أهل العلم قالوا بوجوب خدمة المرأة زوجها ، قال بذلك الطبرى وأبو ثور ذكره الحافظ بن حجر فى فتح البارى ، ولابن تيمية فى ذلك قول جميل ذكر الألبانى فى آداب الزفاف ، حيث قال :

« تنازع العلماء هل عليها أن تخدمه فى مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب ، والخبز والطحن لمماليكه وبهائمه ، مثل علف دابته ، ونحو ذلك ، فمنهم من قال : لا تجب الخدمة ، وهذا ضعيف كضعف قول من قال لا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

تجب عليه العشرة والوطئ ! .

فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف ، بل الصاحب فى السفر الذى هو نظير الإنسان وصاحبه فى المسكن إن لم يعاونه على مصلحته ، لم يكن قد عاشره بالمعروف .

وقيل – وهو الصواب – : وجوب الخدمة ، فإن الزوج سيدها فى كتاب الله وهى عانية عنده بسُنة رسول الله ﷺ وعلى العانى والعبد الخدمة ولأن هذا هو المعروف .

ثم من هؤلاء من قال : تجب الخدمة اليسيرة ، أو منهم من قال : « تجب الخدمة بالمعروف ، وهذا هو الصواب ، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية ، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة » [١] .

(١) فتاوى ابن تيمية : آداب الزفاف للألبانى ، وعن كتاب مفاتيح السعادة الزوجية ، مجدى الشهاوى .

الحب فى الحياة الزوجية

كيف يحدث الحب ؟ .

بادئ ذى بدئ يجب أن نقرر حقيقة وهى أن الحب بين الزوجين وتألف القلوب والأرواح هو منحة من الله لعباده ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (٢١) ﴾ (١) .

فهو سبحانه الذى جعل المودة والحب والرحمة بين الزوجين ، والنبى ﷺ يقول : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » (٢) .

وهذا يؤكد أن الحب سر من أسرار الحق تبارك وتعالى ، لأن الحب يكون أولاً بين الأرواح والأرواح لا يعلمها إلا الله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** (٨٥) ﴾ (٣) .

والحب سبب لإستقرار الحياة الزوجية ، ودحر جميع مشاكلها ، والحب يأتى بالتعرف على صفات المحبوب والإقتناع بشخصه والتفاهم والعشرة الطيبة ، حينما يخلص كل من الزوجين لصاحبه يرزقهما الله الحب .

سئل النبى ﷺ : [من أحب الناس إليك ؟ **قال** : « **عائشة** »، قيل : من الرجال يا رسول الله ، **قال** : « **أبوها** » (٤) .

---

(١) سورة الروم الآية « ٢١ » .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) سورة الإسراء الآية « ٨٥ » .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

وقد كانت عائشة رضى الله عنها تبادله نفس الحب ، وهكذا يجب أن يكون الزوجين ، وقد رخص النبى ﷺ فى الكذب على الزوجة من أجل الحب، عن أم كلثوم بنت عقبة قالت : ما سمعت رسول الله ﷺ رخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث : « **الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها** » (١) .

ولا يظن الزوجين أن الكذب مرخص لهما فى حديثهما بعضهما على إطلاقه كلا ... إنما المقصود الكذب الذى يحدث به الحب ويقوى كقول الرجل لزوجته ... ما أجملك ... أنت أجمل امرأة فى هذه الدنيا ، وإنى أحبك حباً جماً ، هذا الطعام جميل ، ولا تصنع يدك إلا كل خير ، حينما أغيب عنك لحظة اشتاق إليك ... وهكذا .

وربما يكون زوجته ليست بجميلة ، وربما يكون لا يحبها كل ذلك الحب ، ولا يكون الكذب فى الأمور الأخرى فى الحياة وإلا تعود الزوجين الكذب وربما انعدمت الثقة فى الحياة الأسرية بينهما .

عوائق فى طريق الحب :

قبل الزواج يعيش الخطيب وخطيبته سوياً لحظات سعادة وحب عذرى ، ويتمنى كلاهما لحظة البناء والزفاف وأن يعيشا سوياً فى عش الزوجية وقد يرسما لنفسيهما خيالات من السعادة المطلقة والحب الصادق فإذا تزوجا ومرت الأيام الأولى وجد الزوج من زوجته بعض ما يكره من الصفات والأفعال ،

---

(١) رواه مسلم .

ووجدت هى الأخرى مثلما وجد ، فلا يظن الزوج أو الزوجة أن ذلك نقصاً أو عائقاً للحب وصدق من قال :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها

كفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبه

لذلك كان تحذير الحق سبحانه وتعالى من هذا الأمر فقال جل شأنه : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وكذا قول النبى ﷺ : « **لا يفرك**(٢) **مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضى منها آخر** » (٣) .

وكيف نحافظ على الحب ؟ .

وينبغى على الزوج والزوجة أن يعلما أن الحياة ليست كلها سعادة ، بل فيها من هذا ومن ذاك ، وأن المرء كما فيه صفات لا نحبها ، فلا بد أن يتحلى بما نحب من طيب الخصال ، وعلى الزوجة حين تغضب من زوجها أن تتذكر لحظات الصفاء ، وإكرام زوجها لها ، ولا تجعل الغضب يسيطر عليها ، ولا تكن مثل المرأة السوء التى تكفر العشير ، والنبى ﷺ قد حذر نساء الصحابة من هذا الأمر – كفران العشير – .

عن جابر رضي الله عنه أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم قام حتى أتى النساء ،

---

(١) سورة النساء الآية « ١٩ » .

(٢) لا يفرك : لا يكره .

(٣) صحيح مسلم .

فوعظهن وذكرهن ، فقال : « تصدقن ، فإن أكثركن حطب جهنم ! » ، فقامت امرأة سطه [١] النساء سفعاء [٢] الخدين فقالت : لمَ يا رسول الله ؟! قال : « لأنكن تكثرن الشكاة ، وتكفرن [٣] العشير » فجعلن يتصدق من حليهن ، ويلقينه فى ثوب بلال رضي الله عنه [٤] .

وأكثر النساء على هذا ، فهن يكثرن الشكوى ويتعبن أزواجهن ، ويرهقنهم بكثير من المطالب ، وإن أحسن إليها الزوج دهراً ثم أساء مرة قالت : ما أحسن إلىّ قط !!! .

فاحذرى أيتها الزوجة المؤمنة من تلك الصفات التى أوردت أصحابها النار ، أعاذنا الله منها وإيّاكِ ، واحذرى سوء الخلق مع الزوج فإنها مجلبة للهلاك .. .

قال ﷺ : « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » [٥] .

وجاء أن أسماء بنت عميس سألت النبى ﷺ قالت : قلت يا رسول الله ما شؤم الدار ؟ قال : « ضيق مساحتها ، وخبث جيرانها » ، قالت : فما شؤم الدابة ؟ قال : « منعها ظهرها وسوء خلقها » ، قالت : فما شؤم المرأة ؟ قال : « عقم رحمها وسوء خلقها » [٦] .

فإن كان بك أيتها الزوجة المسلمة شيئاً من حدّه ، فحاولى مستعينة بالله أن تتخلصى منها ، والحلم بالتحلم وعليك بالإعتذار الفورى والسريع إن أخطأت فى حق زوجك ، فإن الله يمحو السيء بالحسن ، فقولى له الحسنى بل الأحسن .

---

(١) سطه النساء : وسطهن
(٢) سفعا : فيها تغير وسواد .
(٣) وتكفرن العشير : تنكرن من فضل الزوج .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه الطبرانى .

هل من الممكن أن يكره الرجل زوجته ؟ .

ربما يحدث هذا ، فقد تكون المرأة سيئة الخلق ، سيئة الطباع ، فيكرهها الزوج ، قال الحسن البصرى رضي الله عنه : « زوِّج ابنتك صاحب الدين ، إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها » .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « أننى لا أحب زوجتى ، فقال عمر رضي الله عنه : إن البيت لا يُبنى على الحب »[١] .

والخليفة عمر يقصد من ذلك أن هناك أمور تحتاج إلى التضحية ، وهى حماية الأسرة من التفكك ، وكذا حماية الأولاد من أن يفقدوا حنان الأب أو الأم ، وعلى الزوج أن يصبر على زوجته فبالصبر والحلم عليها ربما تغير طبعها وصارت إلى الأحسن ، وهو بذلك ينال الأجر والثواب ، وليعلم الزوج أنه ربما كان خُلق زوجته السيء ناتجاً عن معصيته هو لله عز وجل ، فقد كان أحد الصالحين يقول : « إنى لأجد أثر معصيتى فى خُلق دابتى » .

أى أنه يجد الدابة تمنعه ظهرها فيتذكر حاله مع الله ، فيجد أنه قد اقترف ما يستحق العقاب ، كذلك الحال فى جميع أمورك أيها الزوج المسلم ، فأنت حين تعصى الله عز وجل ربما يسلط عليك من ينغص عليك عيشك بعض الوقت ، وإن الله إذا رضى عن عبد عجل له العقوبة فى الدنيا .

فتقرب أيها الزوج إلى الله بالطاعة والاستغفار ، وتقربى أيتها الزوجة إلى الله بطاعته وبطاعة زوجك وإرضاءه تسبحا فى بحر من الحب الصادق والمودة والرحمة .

---

(١) تحفة العروس ، الأستانبولى .